إضاءة

لم ينتظر العرب شامبليون ليبدأوا بالاهتمام بمصر القديمة. الباحث عكاشة الدالي من بين الذين كشفوا عن ألف عام، جرى تجاهلها، من بحوث ومحاولات عربية لفهم الهيروغليفية وحضارة مصر، مقدّراً حجم المصادر العربية حول الموضوع ببضع مئات آلاف المجلّدات

محمد الأسعد

لم تكن اشتغالات أحمد كمال باشا (1851- 1923)، حول استعادة هوية لغة بعد كفاح مرير، بلا صدى (راجع «العربي الجديد»، الإثنين، 19 نيسان/إبريل). إذ إن عدداً من الباحثين العرب سيواصل جهوده، مع أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، وعلى رأسهم المفكّر علي فهمي خشيم (1936- 2011) صاحب كتابَي «آلهة مصر العربية» (1998) و«البرهان على عروبة اللغة المصرية» (2007). من جانب آخر، سيشهد أوّل عقد من عقود قرننا الحالي ظهور كشف جديد مفاجئ، بعيد للعرب والثقافة العربية حقّاً ظلّ مهملاً ومهضوماً طوال أكثر من ألف عام، وهو دورهم في فكّ رموز الكتابة الهيروغليفية وقراءة ما ظلّ مستغلقاً في نظر العلماء الغربيين (بفعل فقدان تلك الألفية من عمر الثقافة العربية، أو تجاهلها بالأحرى) إلى أن جاء الفرنسي شامبليون وفكّ رموز هذه الكتابة عام 1822، اعتماداً على نقوش حجر رشيد المكتوبة بثلاث لغات، المصرية القديمة والديموطيقية واليونانية، والمكتشف في مبنى بالقرب من مدينة رشيد.

إنصاف الاهتمام العربي المبكّر بالحضارة المصرية

نفيُ النسيان عن ألف عام

مسلّة تحتمس ومسلّة حتشبسوت اللتان تحملان نقوشا هيروغليفية، في الكرنك بالأقصر (Getty)

صاحب هذا الكشف هو الباحث والأكاديمي عكاشة الدالي، في كتابه الصادر بالإنكليزية تحت عنوان «علم المصريات: الألفية المفقودة، مصر القديمة في الكتابات العربية في القرون الوسطى» (2005). وهو عالِمٌ يعترف في محاضرة له ـ ألقاها إثر صدور كتابه ـ بأنه خلال دراسته للفرع العلمي المسمّى «المصريات»، «لم يكن واعياً بوجود حجم من المواد ثمين بهذا القدر من المصادر العربية ذات الصلة بمصر القديمة»، على رغم وعيه ببعض من هذه المصادر. ومن هنا اتّجه نحو جمع أكبر قدر ممكن من هذه المصادر العربية، وبعضها لم يُنشَر قبل كتابه قط. وقدّر الدالي أن حجم هذه المصادر يصل إلى بضع مئات الآلاف المجلّدات، الأمر الذي يُحيج التوسُّع في البحث إلى مزيد من الوقت والكثير من الباحثين. وقال إن الموضوعات التي يظنّ أنها ستحظى باهتمام الأكاديميين والجمهور العام تتضمّن دور كليوباترا العلمي والبحثي، وفكّ العرب لرموز الهيروغليفية، وكيف تمّ إهمال جهود علماء المصريات العرب. وأشار إلى أنّ السبب الذي دفع العلماء العرب في العصور الوسطى إلى بحث أعمال كليوباترا والكتابة عنها يقع في الإطار الأوسع الذي دفعهم إلى الاهتمام بالنقوش المصرية، والنظر إلى مصر القديمة بوصفها أرض الكنوز والحكمة، بالمعنيين، المادي والمعنوي.

وقاد هذا إلى نشوء اهتمام واسع بالنقوش المصرية، نظر فيه كتّابٌ عرب، من أمثال ذي النون المصري وابن وحشية (صاحب كتاب «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام»)، بين كثيرين، إلى الرسوم الهيروغليفية نظرتهم إلى حروف أبجدية. بالإضافة إلى أنّه تسنّى لهم (نتيجةً لتناقُل المعارف والنصوص ثنائيةَ اللغة، سعياً وراء الحكمة) معرفة المعاني الكامنة وراء بعض المقاطع الهيروغليفية. كما أنّ البحث يُظهر كيف أن هذه الهيروغليفيات لم تكن تُفسَّر كرموزٍ فقط، بل كأصواتٍ لغوية أيضاً، وهو ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن علماء مثل شامبليون استلهموا مثل هذه الكتابات العربية.

وزاد عكاشة الدالي من ثراء بحثه بالكشف عن أن عرب القرون الوسطى، في تلك الألفية المفقودة، نقلوا المعرفة في مصر القديمة بوساطة تسجيل الشهادات الشفاهية أيضاً، وهي شهادات تضمّنت القصص الديموطيقية المصرية المفقودة، وكذلك باستنساخ النقوش، كما هو واضح من صفحات مخطوطة كتاب «الأقلام» الموجودة في المتحف البريطاني، والتي استنسخ فيها أبو القاسم العراقي نقوش مسلّة الملك امنمحات الثاني.

كما ألقى ضوءاً على الكيفية التي يمكن أن يكون العلماء العرب قد جمعوا بها معلومات حول النّقانة القديمة التي وثّقوها خلال تلك الألفية. وفي كل هذا، اختار الدالي، بشكل رئيسي، مراجعه من بين كتّاب يفترض أنهم متخصّصون في ميدان أبحاثهم، ويُظهرون اهتماماً عميقاً بمصر القديمة، واستخدم بعضاً من سرديات ملاحم وقصص من النوع الذي يكشف عن إدراك لماضي مصر. كما ركّز على الكتّاب المسلمين، بغضّ النظر عن انتماءاتهم القومية، لأن العربية، مع انتشار الإسلام، أصبحت لعدة قرون وسيلة تفاهم معرفي وعلمي بين شعوب مختلفة اللغات، يستخدمها مسلمون وغير مسلمين، العرب وغير العرب على حد سواء.

تضمّنت هذه المصادر، التي استرجع بها الباحث الألفية العربية المفقودة، مقالاتِ الرحالة والجغرافيين، وكتاباتٍ تاريخية وسيراً ذاتية، وكتباً في فكّ الغاز النقوش القديمة، ومقالاتٍ ويوميات الباحثين عن الكنوز، وكتباً في الكيمياء. وفي ضوء هذه المصادر يتوصّل الدالي إلى نتائج مفادها أن قراءة المصادر العربية توضح أن دراسة الثقافات القديمة كانت ذات قيمة كبرى بالنسبة إلى المعرفة والهدى، انطلاقاً من الإيمان بأن التاريخ الإنساني كلّه كان تاريخاً واحداً، على الرغم من اختلاف الشعوب واختلاف أماكن إقامتها ومعيشتها؛ تاريخاً يشترك من حيث الجوهر في أصل واحد ومصير واحد؛ وأن الدراسة العربية في القرون الوسطى للثقافة المصرية جزءٌ من هذا النهج الكوني التاريخي وليس محاولة ضيقة الأفق لإثبات مصداقية هذه العقيدة أو تلك.

نظر كتّاب عرب مبكّرا إلى النقوش الهيروغليفية كأبجدية

تعود بعض المصادر العربية حول مصر القديمة لما قبل الإسلام

وفي النتيجة، يتوصّل الباحث إلى أنّ الصّلات الوثيقة، قبل ظهور الإسلام بين العرب وبين المصريين القدماء، هي التي وفّرت إحساساً بالهوية والتواصل بين القادمين الجدد تحت راية الإسلام وهذه الثقافة القديمة بدءاً من القرن السابع الميلادي. ولهذا، التفت الكتّاب العرب إلى مصادر غنية ومتنوّعة، معاصرة للإسلام وسابقة عليه على حد سواء. وكانت النقوش الهيروغليفية، التي أثارت اهتمام كثير منهم، مفاتيح معرفة وحكمة عميقتين. وساعدت حقيقة أن المصرية المنطوقة كانت ما تزال حية في مرحلتها القبطية، بالتلازم مع معرفة لغات ونقوش أخرى، على إمكانية الوصول إلى فهم سليم لطبيعة اللغة المصرية القديمة.

وإذا كانت بواعث اهتمام عرب القرون الوسطى بالنقوش المصرية، فقد نجحوا بلا شكّ في إدراك صلة المصريّة القديمة بالقبطية، وأن العلامات المصرية تمتلك قيماً صوتية، وأنّ بعضها كان متجمّعاً بوصفه أبجدية. يُضاف إلى هذا أنّ قلّةً من الكتّاب استطاعت التمييز بين العلامات المستخدمة أبجدياً والعلامات المستخدمة كصور معينة.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فضلُ نظرة

لا يشكّ الباحث عكاشة الدالي (الصورة) في ان ممّا ساعد على فكّ رموز الهيروغليفية النظرة التي ترى ان المصرية القديمة واللغة العربية تمتلكان الكثير من السمات المشتركة التي تشير الى اصل مشترك. اي انّ الدالي يؤكّد ـ في ضوء حجم المصادر العربية التي توفّرت بين يديه، وبعضها موزّع في متاحف العواصم الغربية ـ على ما كشفت عنه جهود رائد استعادة الهوية اللغوية للحضارة المصرية، احمد كمال باشا (1851-1923)، قبل قرن تقريبا.

وقفة مع

خالد الجرماني

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يود مشاطرته مع متلقيه

ليون. العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

أعمل هذه الأيام على التأليف الموسيقي لمشروع يجمع العود ورباعيا وتربا: التي كمان وفيولا وتشيلّو، وهو تحدٍّ كبير بالنسبة إليّ، لأنني لا أريد أن أدخل هذا العمل من باب الموسيقى الكلاسيكية الغربية، الأكاديمية تحديداً، وفي الوقت نفسه، يجب أن يكون صوتُ الرباعي وحضوره أساسيَين. كما أكتب موسيقى لفيلم وثائقي من إنتاج تلفزيون «فرنسا 3»، يتحدّث عن طبيب فرنسي (هو رفاييل بيتي) ذهب إلى شمال سورية لمساعدة المصابين تحت القصف.

■ ما هو آخر عمل صدر لك وما هو عملك القادم؟

أسطوانة «مرام»، التي أنجزتها فرقة «باب السلام»، وخرجت للتداول عام 2020. شكّلت هذه الفرقة مع أخي، مهنّد الجرماني، وعازف الكلارينيت الفرنسي، رفائيل فوياز، كما أصدر ثنائي «أنترزون» (مساحة تقاطع)، الذي يجمعني بعازف الغيتار الفرنسي سيرج تيسو غي، أسطوانة «كان يا كان» عام 2019. في كلتا الأسطوانتين كنتُ موّلفاً وعازف عود ومغنياً.

■ هل أنت راضٍ عن إنتاجك ولماذا؟

يأخذ العمل وقته قبل أن ينضج ويصبح جاهزاً للنشر. أحياناً يكتمل بسرعة ولا يأخذ كثيراً من إعادة الصياغة والإعداد، وأحياناً أخرى قد يقضي سنوات قبل الخروج إلى النور. في كلّ الحالات، قبولي للنتيجة لا يعني عدم المراجعة نقدياً في وقتٍ لاحق. عادةً ما أستمع لأعمالي بعد نشرها بفواصل زمنية بعيدة، قد تصل إلى بضع سنوات أحياناً. أعيد اكتشافها وكأنني مستمع فحسب. ودائما ما يكون عندي ملاحظات نقدية. بالمحصّلة، لا أعتقد أنّني متصالح مع أعمالي، لكنّني أقبل النتيجة باعتبارها بنْتَ لحظتها ومكانها وبنْتَ حالتي في ذلك الوقت.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

كنتُ وما زلت أحلم بمشروع جماعي يضم موسيقيين وموسيقيّاتٍ، عازفات وعازفين، مؤلّفات ومؤلّفين، مغنّيات ومغنّين، يشبه ما كنّا بدأناه في المشرق العربي نهايات القرن التاسع عشر، بأصالة تلك الفترة وتوق فنّانيها للبحث عن الجديد، من دون الاستخفاف بالهوية والموروث ومن دون الانغلاق عليهما.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

بعد الذي عشناه، نحن السوريين، من خذلان، وما عاشه العالم بعد أزمة كورونا، وبعد صعود كثير من المتطرّفين لأهمّ مراكز القرار، لا أعتقد أن العالم بخير. لا خيار أمام المستضعفين اليوم سوى اجتراح معجزة أن يثوروا على سيطرة ثلّة من الأشخاص على مقدرات ومصير العالم. لكنني لا أرى هذه الثورة في المدى المنظور، للأسف، ما دام مَن يعيش شمال وغرب البحر المتوسّط لا يرى أنّ قتل ديكتاتور شعبه في شرق وجنوب المتوسط سوف ينغّص عليه حياته هو في الغرب، وما دام من يعيش شرق وجنوب المتوسط لا يريد أن ينفتح على إنجازات الآخرين الثقافية والعلمية والفلسفية، فإنّ كليهما لن يتحرّر.

■ شخصية من الماضي تود لقاءها. ولماذا هي بالذات؟

من الشرق: محمد القصبجي، لأسمع منه لماذا تمّ إقصاؤه عن التلحين بسُلطة واحدة من أكبر مغنّيات الشرق الحديث (أم كلثوم). ومن الغرب: إيريك ساتي، لأسمع منه كيف وصل لروح الشرق موسيقياً، وهو لم يغادر فرنسا.

■ صديق يخطر على بالك أو كتاب تعود إليه دائماً؟

كثيرون هم الأصدقاء الذين يخطرون على بالي. أحد أكثرهم حضوراً هو عادل عبيد، صديقي في السجن (وهو من عمر أبي). كان من أكثر الناس تشجيعاً لي فنّياً، رغم عدم مجاملته لعملي إطلاقاً. رحل عن هذا العالم في ليلة الحفل الذي نظّمه «المعهد العالي للموسيقى»، في دمشق، لطلّابه المتخرّجين، وقد كنت من بينهم. لليوم أتناقش معه؛ نختلف ونتّفق، رغم الغياب. أمّا الكتاب، فهو «اللغة المنسية» لإيريك فروم، وهو كتابٌ في دراسة الأحلام ولغة الرمز والأسطورة. أعود إليه لأنني أؤمن بأن الأحلام أكبر نافذةٍ تُطلّ على ذواتنا، وأن فهمها يجعلنا نفهم الكثير عنّا وعن واقعنا.

■ ماذا تقرأ الآن؟

رواية «وردّت الجبال الصدى» لخالد حسيني. أعتبرها من أجمل ما قرأت، لا لأنّها تصف حالاً يُشبه حال ملايين السوريين اليوم فحسب، بل لأنّها مكتوبة بحبكة وبلغة تجعلانني أتوقّف، بعد بعض العبارات، لأشرد بعيداً، أو لأمسح دمعة غافلتني. أو لأقول بكلّ بساطة: من أين يأتي بهذا ابنُ الجنّي؟

بطاقة

خالد الجرماني من مواليد السويداء في سورية (1972). عازف عود ومؤلّف موسيقي، خرّيج «المعهد العالي للموسيقى» في دمشق. شكّل ثنائي «أنترزون» (مساحة تقاطع) مع الموسيقي الفرنسي سيرج تيسو غي، وفرقة «باب السلام» مع مهنّد الجرماني (عود وإيقاع) ورفائيل فوياز (كلارينيت). صدرت له، بشكل فردي أو مع فرقتَيه، عشر أسطوانات لدى شركات مثل «يونيفيرسال» و«هارمونيا موندي»، التي أصدرت له، بالتعاون مع «معهد العالم العربي» في باريس، أسطوانة عزف منفرد على العود بعنوان «أثر» (2013). من آخر أعماله أسطوانتا «مرام» (مع فرقة «باب السلام»، 2020) و«كان يا ما كان» (ضمن ثنائي «أنترزون»، 2019).

موسيقاي لا تستخف بالموروث ولا تنغلق عليه

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

خالد الجرماني

متابعة

اكتشافُ ما حدث لقطعة أثرية مكتشَفة!

تخريب هنا وإهمال هناك

اكتشف مواطنٌ جزائري فسيفساء خلال قيامه بأشغال حفر، وبعدها بأيام اكتشفت وزارة الثقافة أنّ القطعة الأثرية تعرّضت لتخريب شبه كلّي

الجزائر ـ محمد علاوة حاجي

بعد يومين من بدء تداوُل نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي صوراً تُظهر تحطيم لوحةٍ فسيفسائية اكتُشفت حديثاً في مدينة جميلة شرقيّ الجزائر، أطلّ مسؤول في وزارة الثقافة الجزائرية، الخميس الماضي، ليعترف بأنّ القطعة الأثرية قد تعرّضت لتخريب «شبه كلّي».

بدأت القصّة يوم الثلاثاء الماضي مع انتشار صُور وفيديوهات تُظهر الفسيفساء التي اكتُشفت خلال قيام أحد المواطنين، وسط مدينة جميلة، بأشغال حفر بعد تهديمه بنايةً قديمة ليبني أخرى مكانها. بدت القطعة الأثرية في البداية سليمةً ومكتملة، لكنّها سرعان ما تحوّلت إلى أجزاء.

رغم ذلك، أصدرت وزارة الثقافة في اليوم التالي بياناً قالت فيه إنّ الوزيرة، مليكة بن دودة، أمرت بإرسال فريق من خبراء «المركز الوطني للبحث في علم الآثار» و«المدرسة الوطنية لحفظ الممتلكات الثقافية وترميمها» و«ورشة الحفظ وترميم الفسيفساء القديمة» بهدف «معاينة الفسيفساء»، من دون أية إشارة إلى ما تعرّضت له القطعة.

أعطى البيان انطباعاً بأنّ الوزارة تجهل تعرّض الفسيفساء للتخريب، أو أنّها تُحاول تأجيل الاعتراف بحدوثه، رغم تداوُل صور تؤكّده؛ فقد تحدّث البيان عن «إساءة» الوزيرة «تعليماتها بضرورة وقف الأشغال التي يعرفها الموقع»، كما نفى «تخلّي مصالح الوزارة عن الاكتشاف أو تركه عرضةً للإهمال». وكلّ هذا الكلام كُتب ونُشر بعد أن تحوّلت الفسيفساء إلى قطع متناثرة.

هل كانت الوزارة القائمة على قطاع الآثار في الجزائر تجهل أنّ القطعة الأثرية تعرّضت للتخريب فعلاً؟ يبدو ذلك مستبعَداً بالنظر إلى أنّ الوزارة تملك مديريةً للثقافة في ولاية جيجل، وهذه المديرية تملك مصلحةً خاصة بالتراث. وقد قالت، هي الأخرى، إنّها أوفدت مختصّين إلى موقع الاكتشاف وطلبت وقف أشغال الحفر إلى «غاية استكمال مختلف الإجراءات القانونية المعمول بها»، دون أية إشارة إلى التخريب أيضاً.

ومن اللافت، هنا، أنّ الباحث في علم الآثار، إلياس عريفي، الذي أوفدته الوزارة إلى الموقع - حيث سيُعلِنُ لاحقاً تعرّض الفسيفساء لتخريب شبه كلّي - ربط «اكتشافه» بالصور والفيديوهات التي بُثّت على مواقع التواصل الاجتماعي لحظة العثور على القطعة في وضع جيّد، وهو ما يعني أحد أمرين: أنّ جميع مصالح الوزارة لم تَرَ الصور والفيديوهات التي تُظهر القطعة بعد تخريبها، وأنّ البيان الذي أصدرته وزارة الثقافة تضمّن معلوماتٍ خاطئة، أو أنّه - في أحسن الأحوال - استند إلى معلومات خاطئة.

لا تكشف القصّة فقط عن خلل اتّصالي في وزارة الثقافة، بل أيضاً عن حجم الإهمال الذي يعيشه قطاع الآثار في الجزائر، ومن مظاهره غياب أيّ تنسيق بين مصالح الوزارة وغيرها من القطاعات من شأنه حماية الاكتشافات الأثرية... ومن آثاره تهشيم قطعةٍ أثرية لا تُقدّر بثمن، بينما كانت الوزارة تتحدّث عن إبقاء لجنة لمعاينتها وتحديد فترتها التاريخية.

هل كانت الوزارة المسؤولة عن الآثار تجهل تعرّض الفسيفساء للتخريب؟

قطعٌ من اللوحة الفسيفسائية المكتشفة حديثاً بعد تعرّضها للتخريب

فعاليات

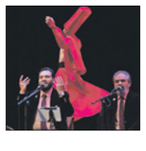

يقيم **مركز الفنون** في **مكتبة الإسكندرية** حفلا للإنشاد الصوفي، عند التاسعة والنصف من مساء الجمعة المقبل، 30 نيسان/ إبريل، تُقدّمه **فرقة الإخوة ابو شعر** السورية. تؤدّي الفرقة المدائح النبوية والابتهالات الدينية، وأصدرت عدّة البومات منها: «كلما ناديت يا هو» (2008)، و«البردة» (2009).

حتى يوم غدٍ الثلاثاء، تتواصل أعمال **مؤتمر الدراسات الفنية السنوي الثالث** الذي انطلق أمس بتنظيم من **المتحف العربي للفن الحديث** بالتعاون مع **معهد الدوحة للدراسات العليا** في العاصمة القطرية. يتضمن البرنامج عدة جلسات منها «قراءة نقدية للقوى العمرانية الفاعلة في تشكيل حاضر ومستقبل المدينة الموبوءة»، و«استشراف العلاقات الممكنة بين المدينة والمتحف».

ينظّم **مركز خليل السكاكيني الثقافي** و**مؤسسة المعمل للفن المعاصر** في رام الله لقاء افتراضيا مع الفنان التشكيلي الفلسطيني **محمد صالح خليك** (1960) عند الخامسة من مساء غد الثلاثاء. صالح حصل على درجة الماجستير في الفنون من ألمانيا عام 1988، وأسّس «منتدى الفنّانين الصغار» في فلسطين في 2000.

حتى منتصف أيار/ مايو المقبل، يتواصل في **غاليري براق نعماني للفن** في بيروت معرض **30 يوما من سلوان** الذي افتُتح في الثاني عشر من الشهر الجاري. المعرض يضم أعمالا للفنان اللبناني **سلوان إبراهيم** (1964) تحتوي مشاهد سوريالية لكائنات ذات مرجعيات أسطورية تتحرّك وتتجوّل وتر تحل في المكان.